مع رفيق العمر والدرب جورج حاوي
في ثلاث محطات من حياته العاصفة

بدأت علاقتي مع رفيق العمر والدرب جورج حاوي في أواخر عام ١٩٥٨ بعد أن انضم إلى الحزب الشيوعي عندما كان طالباً في المرحلة الثانوية في مدرسة فرن الشباك الرسمية. وكنت قد أصبحت أحد الكوادر الأساسية في الحزب في منظمة العاصمة بيروت. لفت نظري النشاط المميز لجورج في المدرسة وفي الحركة الطلابية. وعلى الفور بدأت العلاقة الأولى والأساسية التي استمرت منذ ذلك الحين حتى استشهاده.

تسارعت في شكل استثنائي التحولات التي جعلت من جورج خلال ستينات القرن الماضي شريكاً لي في بداية الأمر في قيادة الحزب في العاصمة وضواحيها ثم في خلال غيابي في فيينا في مجلس السلم العالمي. إذ لعب دوراً أساسياً مع رفيقنا المشترك جورج البطل في عام ١٩٦٤ في المعركة التي انتهت بانفصال الحزب الشيوعي اللبناني عن الحزب الشيوعي السوري.

وأود هنا من دون الدخول في تفاصيل سيرة جورج التي كتبت عنها في كتابي "الشيوعيون الأربعة الكبار في تاريخ لبنان الحديث" وفي الكتاب المشترك عنه مع كل من ميشال إدة وجورج البطل وسمير مراد، لن أدخل في تفاصيل تلك السيرة الغنية لجورج. لكنني أود أن أتوقف عند ثلاث محطات في حياته التي كنت شريكاً له فيها من موقعينا في قيادة الحزب. المحطة الأولى تعود إلى أواسط الستينات عندما كنا قد أصبحنا كلانا عضوين في المكتب السياسي وفي سكرتاريا اللجنة المركزية. في ذلك التاريخ بدأنا معاً في ما اعتبرناه ثورة في الحزب هدفت إلى إحداث التجديد في فكره وفي سياساته والتأكيد على استقلاليته في كل ما يتصل بالشؤون الخاصة في لبنان وفي العالم العربي عن القيادة السوفياتية. وهي الحركة التي اعتبرناها ثورة في تجديد الحزب قام بها الجيل الثاني في قيادة الحزب والاختلاف مع الحرس القديم. وانتصرنا في تلك الحركة. وتكرس ذلك الانتصار كما أشرت إلى ذلك آنفاً في المؤتمر الثاني للحزب في عام ١٩٦٨. والمهم في هذه المحطة من سيرة جورج أنه دفع بالنيابة عنا نحن رفاقه في تلك الحركة ثمناً باهظاً تمثل في الاتهام التعسفي الذي وجهه له قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بالخيانة والارتباط بالمخابرات الأميركية، مرفقاً باتهام من نوع آخر لي كشريك له ولأخرين من الرفاق من أبطال تلك الثورة.

المحطة الثانية تعود إلى دوره في الحرب الأهلية بعد أن انتخب في المؤتمر الرابع للحزب في عام ١٩٧٩ أميناً عاماً للحزب. في تلك المحطة من سيرة جورج كثرت المواقف الخاطئة التي تمثلت

بدخول الحزب في الحرب الأهلية ومن دون حساب للنتائج الكارثية التي ترتبت على ذلك. وأخطر ما عبّرت عنه تلك الأخطاء تراجع الحزب عما كان قد أنجزه في المؤتمرين الثاني والثالث السابقين للحرب الأهلية. ويتحمل جورج في تلك الأخطاء التي استمرت على امتداد الحرب الأهلية مسؤولية أساسية عبّرت عنها بعض مواقفه التي تجاوز فيها من موقعه في الأمانة العامة للحزب رفاقه في قيادة الحزب. لكنه سيكون من الخطأ الفادح أن نحمّل جورج لوحده المسؤولية عن تلك الأخطاء وتلك المواقف حتى ولو كان نصيبه منها كبيراً. فالمسؤولية إنما تعود لنا جميعنا كل بقدر عن تلك الأخطاء. لكنني لا أستطيع وأنا أشير إلى دور جورج في تلك الأخطاء إلا أن أتوقف بإعجاب عند الدور الأساس لذي لعبه في تأسيس جبهة المقاومة ضد الغزو الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢. وكانت البداية في البيان الذي وقعه مع رفيقنا المشترك محسن ابراهيم أمين عام منظمة العمل الشيوعي والذي أعلناه في منزل الشهيد كمال جنبلاط بحضور عضو من قيادة حزب العمل الاشتراكي. وكان للشيوعيين على وجه الخصوص بقيادة جورج شخصياً دور أساسي في إخراج القوات الإسرائيلية في عام ١٩٨٥ من معظم المناطق التي كانوا قد احتلوها وصولاً إلى الشريط الحدودي. تلك كانت المحطة الثانية.

أما المحطة الثالثة فتنقسم إلى قسمين. الأول منها يتمثل بدعوته في أعقاب انتهاء الحرب الأهلية إلى الاجتماع التاريخي الذي عقد في فوار انطلياس والذي أعلن فيه جورج بشجاعة باسم الحزب الشيوعي وأمام المئات من الحضور وكان من ضمنهم ممثلون للجبهة اللبنانية خصمنا في الحرب، الإعلان عن انتهاء الحرب وبداية حقبة جديدة في حياة البلاد. وكان أهم ما ورد في خطابه دعوته باسم الحزب الشيوعي إلى المصالحة بين القوى التي كانت تتصارع في الحرب ونسيان الماضي والدخول في المستقبل.

أما القسم الثاني فيتمثل في دوره في الإعداد للمؤتمر السادس للحزب الذي كنت إلى جانبه في إعداد الوثيقة بالاشتراك مع الرفيق جورج البطل التي أقرت في المؤتمر. وكانت تلك الوثيقة بالغة الأهمية في المراجعة النقدية لدور الحزب في الحرب الأهلية أولاً، ثم في تقديم أفكار جديدة تتصل بحياة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية في ضوء ما عبّر عنه انهيار التجربة الاشتراكية وما تلا ذلك من وقائع وآثار. وكان قد سبق إعداد الوثيقة نقاش واسع في الحزب على قاعدة وثيقة عامة استمر عاماً كاملاً كرّست له في جريدة النداء التي كنت مسؤولاً عن إصدارها صفحة مليئة بالنقاشات من كل الاتجاهات.

إلا أن جورج بعد انعقاد المؤتمر السادس وانتخابه أميناً عاماً للحزب ارتكب خطأ فادحاً تمثل باستقالته المفاجئة من الأمانة العامة للحزب. ولم يكن نص الاستقالة كافياً لتبرير تلك الاستقالة. علماً بأن جورج كان قد تعرّض لحملة من عدة أطراف في الحزب بعضها كان مبرراً وبعضها الآخر لم يكن مبرراً. وشكلت استقالته بداية أزمة في الحزب. وأشهد بأنني حاولت إقناعه بالعدول عن الاستقالة لكنه رفض بحزم. وأذكر أنني كتبت في مجلة النداء مقالين حول الاستقالة أرى من المفيد العودة إلى قراءتهما.

وقبل أن أستحضر هذين النصين لمقاليّ عن استقالة جورج حاوي أود أن أتوقف قليلاً عند المرحلة الأخيرة من سيرة جورج التي انتهت باغتياله مع مجموعة من السياسيين والمثقفين والإعلاميين في أعقاب اغتيال الرئيس رفيق الحريري. ذلك أن جورج غامر بعد استقالته من الأمانة العامة للحزب في عمل تجاري لم يوفق فيه. ثم عاد إلى العمل في قيادة الحزب رئيساً للمجلس الوطني في المؤتمر الثامن للحزب في مطالع عام ١٩٩٩. ولم يبق في ذلك الموقع إلا لفترة قصيرة. ومارس العمل السياسي باسم أفكاره مستقلاً عن الحزب في موقع المعارضة السياسية إلى أن تم اغتياله في عام ٢٠٠٥. وهكذا انتهت حياته شهيداً وطنياً وشيوعياً. ولم تستطع المحكمة الدولية حتى الآن بعد ثلاثة عشر عاماً من تحديد الجهة المسؤولة عن تلك الاغتيالات. رغم أن كثرة من اللبنانيين ممن كانوا يعترضون على الوصاية السورية حمّلوا المسؤولية عن تلك الاغتيالات للقيادة السورية، بحق أو بغير حق، إلى أن يصدر الحكم عن المحكمة الدولية، إذا ما تمّ ذلك! وقد كتبت مقالاً عن جورج بعد استشهاده تحت عنوان "العشاء الأخير مع جورج حاوي" قدمت فيه قراءتي لسيرة جورج في المرحلة الأخيرة من حياته وملخصاً مكثفاً لما رواه جورج في تلك السهرة عما كان يتصوره للمرحلة المقبلة في لبنان.

وفيما يلي نص مقاليّ عن استقالة جورج الآنف ذكرهما.

عنوان المقال الأول "**حول استقالة جورج حاوي وفي ما يتعدى الاستقالة**"

أثارت استقالة الرفيق جورج حاوي من الأمانة العامة للحزب الشيوعي اللبناني، وتثير، اهتماماً كبيراً وتساؤلات شتى، لدى الشيوعيين والديمقراطيين اللبنانيين، وفي أوساط واسعة من الرأي العام، وبين القوى السياسية على اختلافها، وهو أمر طبيعي. فالاستقالة بذاتها، وكما وردت حيثياتها في الرسالة التي وجّهها الرفيق جورج إلى اللجنة المركزية، لا يمكن إلاّ أن تثير الاهتمام.

فتاريخ الحزب الشيوعي اللبناني والموقع الذي يحتلّه في حياة البلاد.. وفي وجدان الشعب، ومكانة جورج حاوي، بالذات، في الحزب وفي البلاد، تفرض جميعها مثل هذا الاهتمام

المشروع. يضاف إلى ذلك أنّ تاريخ الحركة الشيوعية لم يسبق أن شهد مثل هذا الحدث، بأن يتخلّى قائد مرموق، في عز شبابه وعطائه، وفي كامل قدراته وكفاءاته المتميزة، عن موقع المسؤولية الأولى، لينتقل، بمحض إرادته، إلى مواقع أخرى موظفاً في خدمة الحزب وأهدافه والمُثُل والقِيَم التي يؤمن بها ويلتزم، كل هذه الطاقات التي يمتلكها. ولعلّنا نستثني واحداً، هو نقولا شاوي، ــ مع الفارق في الظروف ــ الذي تنحى عن الأمانة العامة للحزب الشيوعي اللبناني، في العام ١٩٧٩، في المؤتمر الرابع للحزب، دون سبب مباشر، سياسي أو صحي، أو سوى ذلك، بل انطلاقاً من قناعة لديه بضرورة التجديد في الحزب، والإتيان بالكفاءات الشابة إلى هذا الموقع الأساسي. واقترح بنفسه لهذا المنصب جورج حاوي، الذي يستمر، منذ ذلك الحين، أي منذ ثلاثة عشر عاماً، في موقع الأمانة العامة.

استقالة جورج حاوي، إذن، من منصب الأمانة العامة هي حدث ذو دلالة. ولا يمكن إلاّ أن تكون كذلك، ولا يمكن أن يُنظر إليها إلاّ على هذا الأساس، ولا يحق لي أن أستبق القرار الذي ستتخذه اللجنة المركزية للحزب، بعد الانتهاء من مداولاتها الجارية منذ أسبوعين من هذه الاستقالة، قبولاً أو رفضاً، أو سوى ذلك، لأبدي رأياً خاصاً في دلالات هذه الاستقالة ــ الحدث. إلاّ أنّني أسمح لنفسي بالقول، بمعزل عن هذا القرار الذي لا أعرفه، والذي قد يصدر في الوقت الذي تكون فيه المجلّة تحت الطبع، أو تكون قد خرجت إلى السوق، بأنّ الاستقالة، بالمعنى الذي حدّدته رسالة الرفيق جورج، في هذه المرحلة التاريخية من حياة الحزب والبلاد والمنطقة والعالم، تشكّل، أو هي ستشكّل، منعطفاً في مفهوم التطوير والتجديد في الحزب الثوري، وفي مجمل حركة التغيير، ومنعطفاً في مفهوم دور الأفراد في الحزب وفي الحركة، وفي الأحداث، وفي التحولات الكبرى، موقعاً، وتأثيراً، وشكلاً وحجماً.

فلا تطوير حقيقياً، من وجهة نظر الحزب الشيوعي اللبناني التي تكرست في قرارات المؤتمر السادس، ولا تجديد حقيقاً في الحزب الشيوعي، ولا تطوير ولا تجديد في أي حزب يطمح لمثل ما يطمح إليه الحزب الشيوعي اللبناني، من تحقيق مهمات تغييرية ذات طابع جذري في خدمة القضية الوطنية وقضايا الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية، في لبنان والوطن العربي والعالم، إلاّ إذا اقترنا أي التطوير والتجديد هذان، بتطوير وتجديد في الفكر وفي السياسة وفي أشكال تنظيم العلاقة بين جمهور المنتمين إلى الحزب، وفي الأشخاص الذين يتولون أدواراً قيادية فيه في كل المستويات، بدون استثناء. وفي هذا يكمن الجوهر فيما تضمنته رسالة الرفيق جورج، والإقدام على تحريرها وتقديمها والتمسُّك بها وبمضمونها، كما ورد في النص.

وغني عن البيان أنّ أي محاولة لربط هذه الاستقالة بحث آني، كالانتخابات النيابية، مثلاً، أو سوى ذلك من أحداث، هو تصغير لها وتقليل من أهميتها، يتناقضان مع جوهر الرسالة ومع مضامينها المعلنة، بوضوح، وبدون أدنى التباس.

أما علاقة الاستقالة، وما ورد فيها من أفكار، بالنقاش الجاري في الحزب، والذي نظّمه ودعا إليه المؤتمر السادس، فهي تلك العلاقة التي يريد الرفيق جورج من خلالها تأكيد حرصه على تكريس المبادئ الديمقراطية الأربعة الأساسية في التنظيم التي أقرّها المؤتمر السادس كقاعدة وكمنطلق لأي هيكلية تنظيمية ديمقراطية للحزب ينبغي أن تقر سواء في الكونفراس الذي دعا إلى عقده المؤتمر السادس في نهاية هذا العام، أم في مؤتمر استثنائي، إذا ما قرّرت اللجنة المركزية ذلك.

يبقى أنّ المهم في هذه القضية ليس الاستقالة بذاتها، أياً كان مصيرها ــ وهو ما ستقرّره اللجنة المركزية ــ بل الحزب ومصيره ومستقبله. والمسؤولية في هذه المسألة الجوهرية إنّما يتحمّلها أعضاء الحزب أولاً، في جميع مواقعهم، قواعد وقيادات، ومن بينهم الأمين العام المستقيل، الرفيق جورج حاوي، والأصدقاء، وما أكثرهم، والديمقراطيون الذين يتعاظم تيارهم في البلاد، ــ والحزب الشيوعي مرتكز أساسي لمستقبل مشروعهم ــ وكل الحريصين على حياة سياسية ديمقراطية طبيعية في البلاد، مستندة إلى وطنية حقيقية يحاول البعض، وسط صعوبات الماضي والحاضر والمستقبل، أن يشوّهها، أو يضعفها، أو يعطيها مضامين تتناقض مع جوهرها الحقيقي، ومع جوهر الوطن، وهي مسؤوليات لن يتخلّى أحد من هؤلاء عنها.. تلك هي قناعتنا وتلك هي ثقتنا. فالحزب الشيوعي اللبناني هو، في المحصلة، حقيقة تاريخية في لبنان وهو، فوق ذلك، وفي سياق عملية التطوير والتجديد الجارية فيه، يشكّل بالنسبة للحاضر والمستقبل، ضرورة وطنية.

أما المقال الثاني فهو بعنوان " تجديد الانتماء من خلال التغيير

لم تفاجئني استقالة الرفيق جورج حاوي من الأمانة العامة للحزب، ليس من حيث التوقيت، بل من حيث معرفتي المسبقة بقرار جورج، وبإصراره على هذا القرار، وبقناعته المطلقة بضرورته، وبأهميته الراهنة، وبحتمية وضعه موضع التنفيذ، من دون تأخير، من أجل المستقبل. ولقد كنت في السابق، أي منذ مطالع الثمانينات، متفقاً، في المبدأ، مع فكرة جورج بالتغيير في كل الاتجاهات. لكنّني كنت مختلفاً معه في التوقيت، في موضوعه الشخصي، لأسباب موضوعية تتعلق بالحزب. وفي استقالته الراهنة لم أتردد في الموافقة معه، بحماس، من الناحيتين المبدئية

والعملية، ومن كل النواحي. ونقطة الانطلاق في موقفي هذا هي أنّ المؤتمر السادس الذي أرسى أسساً حقيقية للتجديد في الفكر وفي الخط السياسي، وفي المبادئ الديمقراطية للتنظيم، وفي الممارسة، كان يحتاج إلى استكمال هذا التجديد في البدء بالتغيير في الأشخاص، تأكيداً لهذا التوجه، ولهذه المبادئ من جهة، وتحقيقاً للانتقال بالحزب من مرحلة سابقة إلى مرحلة نوعية جديدة، من جهة ثانية. وأهمية هذا التجديد في هذه الميادين كلها، في الشكل وفي المضمون، هي أن يكون الوعي به عاماً، وأن يكون هذا الوعي حقيقياً وفي أعلى مستوياته، وأن يتم التغيير بشكل طبيعي، وليس بعملية قيصرية، وأن يكون المبادرون إلى ولوج طريقه هم أكثر الأشخاص قدرةً وكفاءة، وأكثرهم شجاعة في تحمُّل المسؤوليات، في الصواب والخطأ، على حد سواء، وأكثرهم تأثيراً في حياة الحزب، من موقع الكفاءة بالأخص، لا من موقع المسؤولية، وحسب. وفي هذه المسألة، بالذات، تتحدّد، من وجهة نظري، أهمية الديمقراطية في الحزب. فهي، أي الديمقراطية، إذْ تصبح راسخة ووطيدة، تتيح بشكل صحي، للقائد الفرد، في موقع المسؤولية الأولى، أو في مواقع المسؤولية الأخرى، أن يطور إمكاناته وكفاءاته، الحزبية والشخصية، واستخدامها، بأفضل الأشكال. لصالح الحزب وقضيته وأهدافه، حتى ولو بقي في موقعه القيادي مدى الحياة! إذْ إنّ الديمقراطية ستفرض عليه، ضمن آلية لا بد من تحديدها بدقة، رقابة تضمن عدم تحوُّله إلى زعيم لا غنى عنه، ولا بديل له، أياً كان دوره وأية كانت كفاءاته، وأية كانت ممارسته.

وقد كان من الطبيعي أن تثير الاستقالة نقاشات وتساؤلات، في شتى الاتجاهات، في الحزب، خاصة وخارجه، من حيث شكلها وصيغتها، ومن حيث أسلوب الرفيق جورج الخاص في تقديمها وتعليلها، ومن حيث توقيتها. والتوقيت، دائماً، غير ملائم في هكذا أمور. فجورج حاوي ليس شخصاً عادياً في الحزب وخارجه، ولا هو قائد عادي في هذا الحزب الشيوعي بالذات، وفي أي حزب شيوعي. بل هو كان، وسيبقى لزمنٍ طويل ــ وعمره وخبرته ونشاطه وحيويته، وأحلامه الثورية ومطامحه، تسمح له بذلك ــ شخصية متميّزة، له أسلوبه الخاص في ممارسة دوره، في أي موقع كان وله طريقته، في التفكير، وفي الشكل الذي يطرح به أفكاره وله نمطه الخاص في الحياة، ونمطه الخاص في العلاقات التي يقيمها مع الآخرين، في الحزب وفي المجتمع، مع الأفراد والمؤسسات. وله جرأة فريدة تصل إلى حد المغامرة، خطأً أو صواباً، في التعبير عن مطامحه، وبعضها أحلام ثورية مشروعة، دائماً، وإن لم تكن مبرّرة، في أحيان كثيرة. وبعض هذه المطامح يتصل بشخصه، بالذات. وهي، أيضاً، مشروعة، دائماً وإن تكن، في أحيانٍ كثيرة، غير مبرّرة، وتلك جميعها، بما فيها من تناقضات، هي صفات تُحمِّل صاحبها الغنم والغرم، وتترك تأثيرها،

إيجاباً وسلباً، في المكان الذي يعمل فيه هذا القائد، ويتحمّل المسؤوليات، وجورج حاوي لا يتفرّد بهذا الأمر. فكل مَنْ هو في مثل وضعه، في تاريخ الأحزاب والحركات، وفي المجتمعات، ماضياً وحاضراً، ومستقبلاً، يتحمل، هو، ويتحمّل الآخرون، ممّن هم معه، أو حوله، تبعات كل ذلك. وهو، من وجهة نظري، أمر طبيعي، أيضاً، وأيضاً.

هنا، بالتحديد أريد أن أشير إلى أهمية دور الفرد، أياً كان حجمه، في علاقته بالقضية التي يحملها ويناضل من أجلها، وهي علاقة بالغة الدقة، مفتوحة، دائماً، على كل الاحتمالات. ومن غير الطبيعي ألاّ تنوجد، لأنّها ملاصقة للبشر. ومن غير الطبيعي ألاّ يُحسب لها حساب. ثم إنّ أهمية التغيير في شخص الأمين العام إنما تكمن، هنا، بالذات، وفي هذه المرحلة من تطور الحزب، تحديداً، في أنّه، أي هذا التغيير، يفصل بين مرحلتين، وبين نمطين وعقليتين، مختلفة نوعياً، فهو، إذن تغيير يستهدف فتح الطريق مشرعة، بدون عوائق من أي نوع، أمام وضع جديد بالكامل تكون فيه الديمقراطية الحزبية هي الناظم، دون أي قانون سواها، لدور الأشخاص، مهما عظم شأنهم، بديلاً للتغيير الشكلي الذي تنتفي الحاجة إليه، وإلى قوانين شكلية تعسفية لإحداثه.

وإذْ أسترسل في هذه الناحية فلأنني أدرك أهمية الموضوع الذي نحن بصدده، فهو لا يعني الحزب الشيوعي اللبناني وحده، ولا يعني، فقط، جورج حاوي. بل هو يعني كل الأحزاب والحركات السياسية، وغير السياسية، ويعني كل المجتمع، عندنا، وعند سوانا من الشعوب، ويعني هذا النوع من الأفراد الزعماء، بوجه خاص.

ومعرفتي بجورج حاوي، بحكم الرفقة الطويلة، تجعلني حين أتحدث عنه، أتحدث، بمعنىً ما، عن بعض ما عندي، برغم الاختلاف الكبير بيننا في الشخصية والأسلوب والدور والموقع، وفي أمور أخرى عديدة. كما تجعلني أتحدث، في الوقت ذاته، عن آخرين من رفاقي في قيادة الحزب، من أبناء جيلي، ومن الأجيال التالية، وعن أصدقاء لي في قيادات الأحزاب الأخرى، وي الحركة السياسية، بوجه عام، في لبنان والوطن العربي، وعن آخرين سيأتون غداً، أو بعد غد، إلى مواقع القيادة والتأثير، عندنا وعند سوانا...

ولعلي لا أُفشي سراً إذا قلت بأنني مع جورج ننتمي إلى جيل واحد، تسلّم القيادة، بالتدريج، منذ مطلع الستينات، وشارك في أزمتين في الحزب، أنتجتا المؤتمر الثاني الذي شكَّل بقراراته الجريئة، في العام ١٩٦٨، انعطافاً بالغ الأهمية والأثر والتأثير في الحزب وفي الحركة الشيوعية، وفي مجمل الحركة الوطنية العربية. ولم يفارقنا، هو وأنا وآخرون من رفاق ذلك الجيل، والأجيال التالية، طموح متواصل إلى التجديد، لم نتساوَ في فهمنا له، وفي قدرتنا على العمل من أجل

تحقيقه، ولم نستطع جميعنا أن نقود الحزب، دائماً متحدين أو منفردين، متفقين في الرأي أو متباينين، بالاتجاه الأفضل، وبأفضل الأشكال، لأسباب ذاتية وموضوعية. ولم نستطع، في النهاية، أن نجعله، أي الحزب، مثلما أردناه، بطموحنا الجارف هذا إلى التجديد، مفتوحاً، بشكل طبيعي، على التجديد الفعلي، في ظل كل الوقائع الصعبة، داخلياً وعربياً ودولياً، وفي ظل كل الاحتمالات، المتوقَّع منها، والمفاجئ. إلاّ أننا نجحنا في جعله عميق الجذور في حياة شعبنا وبلدنا، ثابتاً في ارتباطه بالقضية الوطنية وقضية الكادحين، وبقضية الحرية، وبقضية التغيير الديمقراطي. وفي هذا الكلام نقد صريح لجيلنا، جورج وأنا ورفاقنا الآخرين ونقد لكل الأجيال التالية، ونقد لكل تجربة الحزب. ولكنه قد للبناء لا يخلو من جلد للذات لا غنى لنه عنه، رغم أنّه قد لا يكون مبرّراً كله، بسبب مشاركة أطراف أخرى لنا في المسؤولية، من خارج الحزب، في لبنان، رفاقنا في الحركة الوطنية، ومن خارج لبنان، في الوطن العربي، وبالأخص في الحركة الشيوعية العالمية، وفي مركزها الأساس، اللذين انتمينا إليهما. وهو، في الوقت ذاته، نقد يسهم في تحديد طريقنا إلى المستقبل، من موقع التميُّز عن سوانا، في أمور أساسية عديدة، فكراً وسياسة وممارسة، وطموحاً للأرقى، وتمسكاً بقِيَم الحرية والتقدم والعدالة، لا يتزعزع، وسط كل هذه المتغيرات العاصفة. وكنّا، في تحديدنا للطريق إلى الستقبل، ننطلق من موقع الثقة بأنّ حزبنا، بكل سماته هذه، إنما تتوفّر فيه مقومات الحياة والاستمرار والتطور، واستيعاب الجديد، ولو بصعوبة. أكثر من آخرين سواه، هنا وهناك وهنالك. فهو حزب يستعصي كثيراً على ما كان سهلاً جداً في أماكن أخرى. ويعود ذلك لتلك الأسباب التي أشرنا إليها من علاقته المتجذرة في الأرض والوطن والشعب والحياة والواقع، ومن طموحه الدائم إلى التغيير.

من هنا قناعتي بأنّ النقاشات التي تجري، الآن، حول استقالة جورج حاوي من الأمانة العامة، ستقدم للحزب غنى وثراء لا حدود لهما في كل ما له علاقة بتطوره وتقدمه وتجدده، وهي، في أي حال، نقاشات تتواصل منذ المؤتمر السادس، وفي ضوء قراراته الفكرية والسياسية والتنظيمية، التي اختلفت قراءتها لدى الشيوعيين، على مختلف مستويات المسؤولية، واختلطت في هذه القراءة، في أحيان كثيرة، الأمور الذاتية، والشخصية بالأمور الفكرية والقومية والسياسية، فشوهت، بحدود معيّنة، ممارسة الديمقراطية دون أن تضعها موضع البحث أو التردد، ودون أن تؤثر في مجرى تعمُّقها وتحوُّلها إلى تقليد حقيقي راسخ في الحزب. وهي أمور أعتبرها طبيعية، في الظروف الراهنة، برغم ما خلقته من صعوبات في حياة الحزب وفي نشاطه. ويقيني أنّ المؤتمر الاستثنائي السابع الذي ينخرط الحزب في الإعداد له، في مطلع العام القادم، سيساهم في

التخفيف من هذه السلبيات، ومن التأثير الذي يمكن أن تخلقه في المسار العام للحزب. وهو مسار حتمي باتجاه التجديد، يحول الحزب بشكل تدريجي صاعد، إلى حزب ديمقراطي حقيقي كبير للتغيير، أكثر طموحاً، وأكثر واقعية، وأكثر التصاقاً بحياة شعبنا وبلدنا، وأكثر قدرة على خلق تيار شعبي للتغيير الديمقراطي يتسع لكل الطامحين إلى هذا التغيير، من مواقعهم المختلفة، الفكرية والسياسية والاجتماعية.

هكذا أفهم معنى الاستقالة. وهكذا أفهم دور جورج حاوي في عملية التجديد في الحزب، بإصراره على تقديمها، من موقع القدرة والكفاءة. وتواصلاً مع مبادراته التي لم تتوقف أبداً في سعيه إلى التجديد في الحزب، في كل الاتجاهات، على طريقته، وبأسلوبه. وهكذا أنظر، من خلال هذه العملية، إلى مستقبل الحزب، ومستقبل الحركة الديمقراطية في بلادنا، ومستقبل العمل السياسي، بوجه عام، بكثير من التفاؤل، من دون أوهام، وبكثير من الواقعية، من دون اندماج في الواقع. وهكذا أفهم دور حزبنا المقبل، وهو يتجدّد، في صياغة مستقبل لبنان، مواصلاً، بذلك، ومجدداً تاريخه وتراثه الحافلين بالنضالات، والإسهامات المتعددة الجوانب، على كل جبهات العطاء، والتضحيات والبطولات. وعلى أساس هذا الفهم لكل هذه الأمور جميعاً سأنخرط، بكل إمكاناتي، مع كل الرفاق، من موقع الاتفاق والاختلاف، لجعل المؤتمر الاستثنائي السابع للحزب محطة تاريخية في هذا الاتجاه.